العنوان:	رولان بارت 1915 - 1980
المصدر:	الفكر العربي
الناشر:	معهد الإنماء العربي
المؤلف الرئيسي:	ج.، ف.
المجلد/العدد:	مج 2, ع 15
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1980
الشهر:	يونيو
الصفحات:	211 - 214
رقم MD:	418834
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الاساطير، بارت ، رولان، التراجم، الفلاسفة الفرنسيون، النقد الادبي، الادب الفرنسي، الازياء والموضه
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/418834

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

رُولان بارت

(١٩١٥ـ١٩٨٠)

«البعض ينتظر منّا نحن المثقفين أن نتحرك في كل مناسبة ضد السلطة. ولكن معركتنا هي في موقع آخر، إنها ضد كل السلطات، وهذه ليست بالمعركة السهلة إذ أن الجسد الذي تندرج فيه السلطة بشموليتها وأزليتها هو: اللغة». (Le langage) (ر. بارت).

في أواخر آذار ـ مارس الماضي طوى الموت صفحة المفكر الفرنسي المعاصر «رولان بارت» بعد أن صدمته سيارة لحظة خروجه من «الكوليج دو فرانس» حيث يعمل منذ العام ١٩٧٧.

ولد «بارت» سنة ١٩١٥ في «شيربورغ» شمال فرنسا، وبعد سنة من ولادته توفي والده في معركة بحرية في بحر الشمال. فانتقل على الأثر الى الريف حيث تسكن عائلة والدته البرجوازية. وقضى جزءاً كبيراً من طفولته هناك حتى العام ١٩٢٤ حين انتقل الى باريس.

ورث «بارت» عن والدته المذهب «البروتستانتي» وعندما يتحدث عن ماضيه يقول: «لا شيء يهزني من الماضي غير طفولتي فلا أشعر بالندم على الوقت المهدور خلالها».

في العام ١٩٣٤ أصيب بالسّل للمرة الاولى في رئته اليسرى، فقضى الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٤ و١٩٣٥ في جبال «البيرينيه» للمعالجة من هذا الداء، الذي عاوده ثانية في العام ١٩٤١ ولم يبارحه حتى العام ١٩٤٧. وخلال هذه الفترة تنقل بين عدد من المصحات الطلابية الخاصة بمعالجة السّل. وعندما يتحدث عن مرضه يقول إنه لم يكن يشعر بوطأة السل عليه إلا من خلال تقارير الأطباء.

تلقى «رولان بارت» دراسته الجامعية في «السوربون» فحصل في العام ١٩٣٩ على إجازة في الآداب الكلاسيكية. وخلال هذه الفترة أسس مع عدد من زملائه «فرقة المسرح القديم» التي سافرت في العام ١٩٣٨ الى اليونان للتعرف عن كثب الى أصول المسرح الذي كان يشغل اهتمامها. وبعد ذلك بسنوات ثلاث أعدّ رسالة جامعية حول «التراجيديا اليونانية».

كانت مطالعاته الاولى تتراوح بين «السوريالية» و«الكلاسيكية» وقد قرأ ايضاً «أناتول فرانس» و«مارسيل

بورست» و«اندريه جيد» ومعظم النتاج القصصي الذي ظهر بين العشرينات والثلاثينات. وفي الفترة نفسها تعلم العزف على البيانو ولازمته هذه الآلة طيلة حياته. وكان قد تلقّى في فترة المراهقة دروساً في الغناء ساعدته على ان يكون عضواً في الأوركسترا الخاصة بأحد المصحات في أثناء فترة علاجه.

اهتم رولان بارت بالسياسة في نهاية دراسته الثانوية فأسهم مع رفاق له في تأسيس مجموعة سياسية معادية للفاشية.

بدأ أسفاره كاستاذ محاضر في نهاية الأربعينات، فسافر الى بوخارست وعمل أستاذاً محاضراً في جامعتها بين عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩، ومن ثم انتقل الى الإسكندرية وعمل معيداً في جامعتها بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٠؛ وهناك تعرّف الى غريماس (Gremas) وعن طريقه اكتشف الألسنية (La Linguistique).

كتب سلسلة مقالات في ما بين عامي ١٩٤٧ و١٩٥٠ وأعاد جمعها في العام ١٩٥٣ في كتاب بعنوان «الكتابة في درجة الصفر» (Le Degré Zero de L'écriture)؛ فأعجب به الكاتب الفرنسي كينو (Queneau) وعرضه على دار غاليمار للنشر فرفضته؛ ولكن بارت عرض كتابه على دار (Le Seuil) فرحبت به، وظل طيلة حياته مخلصاً لهذه الدار التي نشرت كل مؤلفاته تقريباً.

في العام ١٩٥٢ حصل على منحة دراسية من أجل تحضير رسالة في علم المفردات (Lexicologie)، ولكنه تعثر في دراسته وسحبت منه المنحة. وفي العام ١٩٥٧ جمع عدداً من مقالاته السابقة في كتاب أطلق عليه اسم «أساطير» (Mythologies).

في العام ١٩٦٢ وعلى أثر حلقة دراسية بعنوان «سوسيولوجية الدلالات» عُيّن مديراً في المدرسة التطبيقية للعلوم العالية. (L'école pratique des Hautes Etudes).

وفي العام ١٩٦٣ نشر كتابه «Sur Racine»، وبعده بأربعة أعوام نشر كتاب: «Le Système de la mode».

يقول عن بريخت: «كان الماركسي الوحيد الذي عايشني بخلاف عامة الماركسيين لأنه الوحيد الذي اهتم بالأثر الذي تتركه الدلالات. في حين أن معظم الماركسيين كانوا يغوصون في الأصول الاجتماعية والتاريخية للمواضيع المختلفة».

في حوادث أيار الطلابية في فرنسا ١٩٦٨، رأى أن الحركة الطلابية والسلطة كليهما يستخدمان الأدوات نفسها؛ وقد كان ذلك مبعث دهشته إذ رأى أن «الثورة الطلابية» لم تتمكن من أن تنال، بشكل جذري من سلطة اللغة أو التعبير.

هذا وكان «رولان بارت» كثير الأسفار. فبالإضافة الى إقامته في كل من بوخارست والإسكندرية، زار المغرب سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ ودرّس خلالها في جامعة الرباط. وكان قد سافر في العام ١٩٦٦ الى الولايات المتحدة وألقى عدداً من المحاضرات في جامعاتها. وفي العام ١٩٧٠ سافر الى اليابان وقد تأثر كثيراً بما رأى وشاهد هناك. وقد نشر إثر عودته كتابه «L'empire des signes».

في العام ١٩٧٤ ذهب الى الصين زائراً، واشترك في «حلقة دراسية» إثر عودته منها. ثم التحق بعد ذلك «بالكوليج دو فرانس».

وربما أمكننا القول ان بارت قد تأثّر في حياته بـ «غرياس» و «فرديناند دو سوسير»، وكذلك تأثر بكتابات «ياكوبسون»؛ وكان قد قرأ بحث «أندريه مارتينيه» «عناصر الألسنية العامة» واستوحى منه عنوان رسالته الجامعية «Elément de Séméiologie».

تطرق «بارت» الى مجالات متعددة في ما يسمى بالثقافة المبدعة، فتناول مواضيع تتوزع على: الكتابة - الأدب - الأساطير - الأزياء - النقد الأدبي... إلخ. وهنا عرض موجز لأهم كتاباته:

١ - **الكتابة (L'écriture):**

ظهرت الكتابة في دائرة اهتمام «بارت» من خلال مقالٍ كتبه في مجلة كومبا (Combat) سنة ١٩٤٧، ومن ثم من خلال مؤلفه «الكتابة في

درجة الصفر ». والمقصود بدرجة الصفر عند « بارت » هو كل ما ليس له « صفة خصوصية ». ودرجة الصفر في الأدب هي الحد - الأفق - : الهدف الضروري والمستحيل في الوقت ذاته استحالة الوهم. وهو يحدد الكتابة بأنها النقطة التي يلتقي فيها ويتقاطع كل من اللغة الجماعية والأسلوب الفردي: « اللغة هي جسم إجتماعي بين الأشخاص لا بين الأدباء فقط، هي جسم من العادات والحقوق المكتسبة، هي الجسم المشترك لكل كتاب الحقبة الزمنية. نقول اليوم إن اللغة معيار موضوعي غير شخصي؛ وعلى العكس من ذلك فإن الأسلوب هو تعبير فردي إستكفائي صادر عن جسد الكاتب وماضيه ».

وهكذا فإن المحور الأفقي الذي يمثّل اللغة والمحور العمودي الذي يمثّل الاسلوب يجسدان قوتين غير مبصرتين تكون الكتابة عند التقائها: إنتقاءً، إلتزاماً، فعلَ تضامن تاريخي، والتعبير الأدبي المنصهر تحت تأثير غاية إجتماعية.

عند هذا التقاطع يوجد كل الإبهام وانسداد الأفق وحتى « مأساوية اللغة ».

في تناوله للأدب الفرنسي انطلاقاً من التحديد المذكور للكتابة، يرى « بارت » أن الكتابة الكلاسيكية ولدت في القرن السابع عشر عند المجموعة التي كانت تلتف مباشرة حول السلطة في (بلاط الملك). وفي هذه الفترة بالذات تكرّست الصفات الشمولية المحيطة باللغة الفرنسية الكلاسيكية. وهو يرى أن الكتابة الكلاسيكية تابعت مسارها ككتابة « برجوازية » فلم يتمكن الثوار خلال التورة الفرنسية من تشويش هذه اللغة الموروثة؛ إلا أن الثوار أضفوا عليها الكثير من المغالاة والإسهاب المسرحي آي « بما يتناسب مع الدراما الدموية ». ويقول: لقد أعطت الثورة للبرجوازية السلطة الاجتماعية والسياسية ولكنها لم تعطها أبداً السلطة الثقافية إذ أن سلطة الكتابة كانت تمتلكها البرجوازية منذ وقت طويل.

على ذلك يرى « رولان بارت » أن كتّاباً من نوع « روجيه غارودي » و « أندريه ستيل » وعلى الأخص غارودي، ما زالوا يتابعون التقليد وهم الوحيدون الذين يحافظون بلا انقطاع على الكتابة البرجوازية.

من جهة ثانية يلاحظ « بارت » أن هناك محاولتين فقط جرتا، للخروج عن الكتابة البرجوازية. المحاولة الأولى كانت مع « رامبو » الذي دمّر الأدب: أي الكليشهات الجاهزة، والعادات المتبعة والماضي الشكلي للكتب. والمحاولة الثانية والتي يتبنّاها « بارت » بوضوح ظاهر، هي الكتابة البيضاء (L'écriture blanche)، أو بصورة أكثر تحديداً « الكتابة عند درجة الصفر ». ويرى أن أصدق مثال على هذه المحاولة رواية « الغريب » (L'étranger) لـ « ألبير كامو ».

٢ - الأساطير (Mythologies)

أضفى هذا المؤلف على « بارت » صفة أتنولوجي المجتمع الفرنسي؛ ويسعى في هذا الكتاب الى تفسير كيف أن الأسطورة هي بوجه من الوجوه بمثابة سرقة التعبير (Le vol du langage)، وهي سرقة بالمعنى الجنائي للكلمة. وهذا يعني ان الأسطورة تظهر بالاستناد الى التعبير المتداول: «Le langage Courant» وبشكل يسمح بتمرير القيم الهامشية.

إن كتاب أساطير هو بالنسبة الى بارت أول تطبيق عملي للسيمياء أو علم الدلالات (Sémiologie). هذا العلم الذي سيتحول في الكتابات اللاحقة لبارت الى أداة تحليل وسلاح تخريب. وهو لا يكتفي في هذا المؤلف بالحديث عن مؤسسات البورجوازية الصغيرة (شبكة الاعلانات، الزخرفة) بل يتناول بالنقد اللاذع والسخرية الخبيثة مراجعها (راسين - Racine)، أيقوناتها (غريتا غاربو)، عروضها (العري، منوّعاتها الغنائية الراقصة)، ممارساتها (في المطبخ، خلال العطلة الصيفية)، أشياءها (سيارة السيتروان الجديدة، البلاستيك)، طقوسها الجديدة (التنجيم، بريد القلوب..).

٣ ـ الأزياء ـ الموضة
(Le Système de la Mode)

يتحول بارت في كتابه «Le Système de la mode» من مهتم بعلم الدلالات الى أنتروبولوجي؛ فهو يرى أن الموضة تفرض عالماً خاصاً ونموذجاً خاصاً للأنوثة. ويلاحظ أن المرأة التي تظهر عادة من خلال لغة الموضة المنمقة هي بالضرورة دائمة الشباب، لها هوية خاصة تترافق مع شخصية أنثوية متناقضة. ويمضي بارت بالحديث عن أسفارها وكيفية قضائها عطلتها الصيفية وإنجازها لعملها.. الى أن يراها «مسخاً» (Monstre) هو نتاج نموذجي للثقافة الشعبية أو الجماهيرية (Culture de Masse)

لقد ترك رولان بارت نتاجاً غزيراً ومتنوعاً وما تركه يبدو ميداناً واسعاً يمكن أن يحفز أي مهتم بمجال من مجالات الإبداع.

ف. ج